الرسائل الإعلامية الموجهة
من قِبل الحركات الدينية المسلحة عبر شبكة الإنترنت
وتأثيرها على المستخدمين الشباب*

هبة عاطف**

تمهيد

تشهد خريطة الشرق الأوسط عامة، والعالم العربى على وجه التحديد، تحولات جوهرية متلاحقة، يبرز فيها دور الحركات الدينية المسلحة، فهذه الحركات تعبر عن منطلقات أيديولوجية وأهداف تسعى إلى تحقيقها على أرض الواقع باستخدام القوة والسلاح.

وتتداخل التعريفات والمسميات الأكاديمية لما يحدث الآن على الصعيدين المحلى والدولى، فالحركات التى تتبنى أعمال العنف وتعتلى أنحاء العالم تصنف وفقًا للقانون الدولى بأنها منظمات إرهابية، ونظرًا لأن تعريف الإرهاب بطبيعته فضفاض، ويستند لعبارة الاستخدام غير المشروع للقوة لتنفيذ أهداف غير مشروعة، فقد تم تقسيم الحركات الدينية المسلحة من قِبل القوى الدولية المختلفة كل حسب مصالحه السياسية والاقتصادية والأمنية.

* ملخص رسالة ماجستير، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ٢٠١٩.

**مدرس الإعلام، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية.

المجلة الاجتماعية القومية، المجلد الخامس والخمسون، العدد الثانى، مايو٢٠١٨.

وتُعَرَف الحركات الدينية المسلحة بأنها مجموعة مسلحة تتكون اعتمادًا على أسس أيديولوجية ذات صبغة دينية وتنتهج أسلوب الصراع المسلح من أجل تغيير بعض السياسات الحكومية فى الدول المعنية، أو الإطاحة بنظام الحكم أو الحصول على الحكم الذاتى لمنطقة معينة داخل الدولة أو الانفصال التام عن الدولة. ويتضمن أسلوبها في الصراع أعمال عنف مسلح واسع النطاق ومنظم يطال كل الأطراف المشاركة، ويتم تنفيذ عمليات العنف انطلاقًا من مناطق معينة تمثل قاعدة عسكرية محددة للحركة، كما تتبنى هذه الحركات أهدافًا سياسية واجتماعية محددة تسعى إلى تحقيقها من خلال حمل السلاح وإشهاره.

وتتناول الدراسة الحالية الحركات السلفية الجهادية بوصفها نموذجًا للحركات الدينية المسلحة وتحديدًا تنظيم الدولة الإسلامية المعروف إعلاميًا باسم "داعش" الذى يتخذ من السلفية الجهادية مرجعية فكرية له، يسعى إلى ترويجها إعلاميًا عبر المواد المنشورة له عبر شبكة الإنترنت.

مشكلة الدراسة

يمكن تحديد المشكلة البحثية لهذه الدراسة كالتالى: **التعرف على مدى تأثير الرسائل الإعلامية الموجهة على شبكة الإنترنت من قِبل تنظيم الدولة الإسلامية على اتجاهات النشء والشباب نحو التنظيم**، خلال إجراء **دراسة تحليلية** لعينة من المواد الإعلامية المقروءة والمصورة التى ينشرها تنظيم الدولة الإسلامية عبر شبكة الإنترنت للوقوف على أهم الموضوعات المطروحة فيها، والأطر الإعلامية المستخدمة فى تقديمها، وكيفية معالجة تلك الموضوعات من خلال استخلاص أطر الحلول والأسباب بداخل الموضوعات، والأطر المرجعية التى يستند إليها التنظيم فى عرض أطروحاته، والقوى الفاعلة، إضافة إلى تحليل الاستمالات والأساليب الدعائية التى تم عرض الموضوعات من خلالها.

بالإضافة إلى **دراسة ميدانية** عملت على اختبار عددٍ من المتغيرات التى قد تؤثر فى العلاقة بين التعرض لمواد تنظيم الدولة وتشكيل اتجاهات النشء والشباب نحو التنظيم، وجاءت هذه المتغيرات كالتالى: مدى استعداد الشخص لممارسة العنف، نوع إصدارات التنظيم التى يتعرض لها، مستوى التدين، مستوى التشدد الدينى، مستوى رضا الفرد عن حياته الاجتماعية والأسرية والاقتصادية، المشاركة السياسية، والخصائص الديموجرافية المتمثلة فى: "السن، النوع، المستوى الاجتماعى الاقتصادى، المستوى التعليمى".

تساؤلات الدراسة التحليلية

١- ما القوالب الصحفية للرسائل الإعلامية لتنظيم الدولة؟
٢- ما المصادر الصحفية التى اعتمدت عليها المواد التحريرية للتنظيم؟
٣- ما المساحة التى تشغلها المادة التحريرية ؟
٤- ما المنطقة الجغرافية التى تغطيها المادة التحريرية؟
٥- ما مدى انعكاس أيديولوجية تنظيم الدولة على القضايا والموضوعات المطروحة فى عينة الدراسة؟
٦- ما الأطر الإعلامية المستخدمة فى تقديم الموضوعات؟
٧- كيف تمت معالجة الموضوعات من خلال الطرح الإعلامى لأسباب وحلول القضايا؟
٨- ما الأطر المرجعية التى تم الاستناد إليها فى تدعيم الأفكار المقدمة؟
٩- من القوى الفاعلة الموجودة فى المواد الإعلامية لتنظيم الدولة الإسلامية؟
١٠- ما الاستمالات "المنطقية والعاطفية" المستخدمة فى تقديم الموضوعات داخل الإصدارين؟
١١- ما الأساليب الدعائية التى يوظفها التنظيم فى تقديم القضايا والموضوعات؟

فروض الدراسة الميدانية

الفرض الأول: توجد علاقة ارتباطية طردية ذات دلالة إحصائية بين درجة التعرض للرسائل الإعلامية التى يقدمها تنظيم الدولة الإسلامية على شبكة الإنترنت واتجاهات النشء والشباب الإيجابية نحوه.

الفرض الثانى: توجد علاقة ارتباطية دالة إحصائيًا بين نوع الرسائل الإعلامية لتنظيم الدولة التى يتم التعرض لها واتجاهات النشء والشباب نحوه.

الفرض الثالث: توجد علاقة ارتباطية بين الأساليب الدعائية التى يستخدمها تنظيم الدولة فى رسائله الإعلامية واتجاهات الشباب نحو التنظيم.

الفرض الرابع: لا توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين مستوى التدين واتجاهات الشباب نحو تنظيم الدولة الإسلامية.

الفرض الخامس: توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين مستوى التشدد الدينى واتجاهات الشباب نحو تنظيم الدولة الإسلامية.

الفرض السادس: توجد علاقة ارتباطية طردية ذات دلالة إحصائية بين الاستعداد للعنف واتجاهات الشباب نحو تنظيم الدولة الإسلامية.

الفرض السابع: توجد علاقة ارتباطية طردية ذات دلالة إحصائية بين مستوى الرضا واتجاهات الشباب نحو تنظيم الدولة الإسلامية.

الفرض الثامن: توجد فروق دالة إحصائيًا بين المشاركين وغير المشاركين فى الانتخابات فى متوسطات درجات اتجاهاتهم نحو تنظيم الدولة الإسلامية .

الفرض التاسع: يختلف اتجاه الشباب نحو تنظيم الدولة الإسلامية باختلاف العوامل الديموجرافية كما يلى:

الفرض الفرعى الأول

- توجد فروق دالة إحصائيًا بين الذكور والإناث فى متوسطات درجات اتجاهاتهم نحو تنظيم الدولة الإسلامية لصالح الذكور.

الفرض الفرعى الثانى

- توجد فروق دالة إحصائيًا بين الفئات العمرية فى متوسطات درجات اتجاهاتها نحو تنظيم الدولة الإسلامية لصالح الفئة العمرية من ٢٠ إلى ٢٥.

الفرض الفرعى الثالث

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المستويات الاجتماعية الاقتصادية فى متوسطات درجات اتجاهاتها نحو تنظيم الدولة الإسلامية لصالح المستوى الاجتماعى الاقتصادى المنخفض.

منهج الدراسة

تستخدم هذه الدراسة الوصفية المنهج المسحى باستخدام تحليل المضمون لتحديد الموضوعات المطروحة فى الرسائل الإعلامية للحركات الدينية المسلحة – تنظيم الدولة الإسلامية نموذجًا– وكيفية معالجتها والأساليب الدعائية والاستمالات المتضمنة فيها، بجانب إجراء استقصاء على عينة من الشباب لمعرفة العلاقة بين درجة التعرض لتلك الرسائل الإعلامية واتجاهات الشباب نحو تنظيم الدولة الإسلامية .

عينة الدراسة

جاءت عينة الدراسة التحليلية **للمواد المقروءة** فى قسمين:

القسم الأول: تم سحب عينة عشوائية منتظمة لأعداد صحيفة "النبأ" الصادرة فى عام ٢٠١٧ بشكل أسبوعى كل يوم خميس، لتصبح عينة الدراسة ١٧ عددًا بواقع ٤١٥ مادة صحفية ما بين الخبر والمقال ... إلخ، وتراوح عدد صفحاتها بين ١٢ إلى ١٦ صفحة للعدد الواحد.

القسم الثانى: تم سحب عينة عمدية من مجلة "الرومية" التى تصدر بشكل شهرى عن تنظيم الدولة الإسلامية باللغة الإنجليزية، وجاء إصدار هذه المجلة بعد توقف مجلة "دابق" عن الصدور، ثم صدرت مجلة "الرومية" فى شهر سبتمبر عام٢٠١٦، وتوقفت عن الصدور فى شهر سبتمبر عام ٢٠١٧، ونظرًا لصغر العينة فقد تم عمل حصر شامل لأعداد عام ٢٠١٧ لتصبح عينة الدراسة ٩ أعداد، بواقع ١٨٨ مادة صحفية، وتراوحت صفحاتها بين ٤٠ إلى ٤٦ صفحة .

عينة المواد المصورة: عينة عمدية من ٤٢ فيلمًا بالإضافة إلى إعلان حملة (لبوا النداء) بواقع ١٥ ساعة و١١ دقيقة و٢٠ ثانية، تم التنويه بهم داخل الإصدارات المقروءة عينة الدراسة.

عينة الدراسة الميدانية: عينة من النشء والشباب، بلغت ١٥٠ مفردة وتراوحت أعمارهم من ١٥ إلى ٣٠ سنة، فى الفترة من ٢٠١٨/٨/١٥ حتى ٢٠١٨/١٠/٢٠ ، وتكونت العينة من الذكور بواقع ٦٣ مفردة والإناث ٨٧ مفردة، من المستويات الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية المختلفة.

أدوات الدراسة

صحيفة تحليل المضمون:

تشمل الصحيفة رصدًا كميًا للمتغيرات التالية:

- فئات الشكل (مساحة المادة، المصدر،الشكل الصحفى، التغطية الجغرافية).
- معالجة الموضوعات وتشمل (القضايا الرئيسية والفرعية التى تعبر عن أيديولوجية التنظيم، الأطر الإعلامية، أطر الأسباب، وأطر الحلول، الأطر المرجعية، القوى الفاعلة).
- الآليات الدعائية وتشمل (الاستمالات المنطقية والعاطفية، والأساليب الدعائية للتنظيمات الإرهابية).

استخدمت الدراسة استمارة استبيان إلكترونية "Online Questionnaire" لقياس مجموعة من المتغيرات هى: درجة التعرض، نوع المواد الإعلامية الخاصة بتنظيم الدولة الإسلامية، مستوى التدين، مستوى التشدد الدينى، مدى الاستعداد للعنف، مستوى رضا الفرد عن أحواله الاجتماعية والاقتصادية والنفسية، المشاركة السياسية، الخصائص الديموجرافية (النوع، السن، المستوى الاجتماعى/الاقتصادى، المستوى التعليمى)، الاتجاهات وتتضمن: المكون المعرفى، المكون الوجدانى، المكون السلوكى نحو الرسائل الإعلامية لتنظيم الدولة الإسلامية عبر شبكة الإنترنت.

أهم نتائج الدراسة التحليلية

نتائج المواد المقروءة

أولاً: عبرت الرسائل الإعلامية عن الخلفية الفكرية السلفية الجهادية للتنظيم، ومن أكثر النقاط الفكرية ورودًا:

- "الجهاد فى سبيل الله فرض عين" فتبين من النتائج أن النسبة الأكبر من المواد عينة الدراسة قد وظفت الموضوعات والقضايا المطروحة فى

الإصدارين للتعبير عن أن الجهاد فرض، وتركه يعد من أعظم الآثام بعد الكفر بالله.

- "تكفير الجيوش النظامية للدول ووجوب قتالهم"، والتى حرص الإصداران على توظيفها فى عينة الدراسة انطلاقًا من إحدى أهم الركائز الأيديولوجية للسلفية الجهادية ألا وهى الولاء والبراء، فيُحتِّم التنظيم على أتباعه البراء من دول الطواغيت التى لا تتحاكم إلى شرع الله ومؤسساتها التى تشمل الجيش والشرطة، والولاء للتنظيم ومبايعة البغدادى.
- تكفير الروافض" فالتنظيم يرى شرك وردة كل من يتبع المذهب الشيعى والعلوى...، ويتخذ من هذا المنطلق الأيديولوجى مدخلًا لقتال القوات العراقية والسورية وغيرها من القوى السياسية التى تتبع المذهب الشيعى.
- تلى ذلك وبنسب أقل الركائز الأيديولوجية الأخرى كتكفير اليهود والنصارى والحكومات ومهاجمة رجال الدين، والأفكار المتعلقة بتكريم الشهداء وضرورة الاحتكام إلى شرع الله...
- انعكست تلك الركائز الأيديولوجية للتنظيم على القضايا والموضوعات التى تناولتها الرسائل الإعلامية للتنظيم، حيث ارتفعت نسبة الموضوعات العسكرية والأمنية بداخل العينة فى انعكاس واضح للأفكار التكفيرية التى يتبناها التنظيم، ويوجِب بمقتضاها قتال الفئات المختلفة التى جاءت بوصفها قوى فاعلة بالموضوعات العسكرية والأمنية، وتلتها الموضوعات الدينية وكان من أبرزها الدعوة إلى الجهاد والانضمام إلى صفوف مقاتلى التنظيم والصبر على الابتلاء بالهزيمة فى ظل الانتكاسات السياسية والعسكرية التى عانى منها التنظيم، ثم الموضوعات السياسية والاجتماعية.

- وكانت الموضوعات الإنسانية والاقتصادية هى الأقل ورودًا فى المواد التحريرية عينة الدراسة، فركزت الموضوعات الإنسانية على قصص الشهداء وخواطر المجاهدين، واهتمت الموضوعات الاقتصادية بمناقشة ضرورة استهداف البنية الاقتصادية لأعداء التنظيم، وقيمة عملة تنظيم الدولة الإسلامية أمام الدولار.
- وفيما يتعلق بالأطر الإعلامية التى حرص التنظيم على تأطير مواده من خلالها، كان "إطار الصراع مع الآخر" فى المرتبة الأولى، وقد تم استخدامه بشكل أساسى فى الموضوعات العسكرية والأمنية، إضافة إلى "الإطار الدينى" والذى استعانت به المواد الصحفية لتبرير العمليات العسكرية والأمنية، ولتأطير القضايا الدينية المختلفة خاصة المواد الصحفية التى تناولت الجهاد والتكفير، وإباحة حرق الأسرى وأخذ الممتلكات.
- تم وضع الموضوعات التى جاءت فى عينة الدراسة فى إطار عدد من الأسباب لعل من أبرزها "الجهاد واجب ضد الكفر"، حيث طغت الخلفية التكفيرية للتنظيم على الأسباب والدوافع المقدمة فى القضايا والموضوعات عينة الدراسة.
- وكان سبب "الشهادة من أجل رفع راية تنظيم الدولة الإسلامية" إطارًا لـ٧,٣٪ من الموضوعات خاصة تلك التى تناولت قصص الشهداء، وحرصت على إظهار ولائهم لتنظيم الدولة واستبسالهم فى القتال لرفع راية التنظيم.
- ودعمت أطر الحلول التى استخدمتها المواد التحريرية تلك الممارسات الوحشية التى يتبناها التنظيم، فكان إطار "مواصلة الجهاد واستمرار البيعة للبغدادى" هو الأعلى تكرارًا فى أطر الحلول المستخدمة.

- ❖ اهتمت الموضوعات بتطعيم المواد التحريرية بعدد من الأطر المرجعية من القرآن والسُّنَّة، وأقوال الصحابة والتابعين والشيوخ والفقهاء، فجاءت آيات القرآن الكريم فى المرتبة الأولى، مع التركيز على آيات الجهاد فى سور الأحزاب والتوبة والأنفال، ثم الأحاديث النبوية الشريفة.
- ❖ اعتمدت المواد عينة الدراسة على كثير من كتب الإسناد والسيرة النبوية كصحيح مسلم والبخارى ومسند الإمام أحمد وأقوال الفقهاء خاصة ابن تيمية وابن القيم.
- ❖ ركز الإصداران على أقوال الشيوخ من أعلام الدعوة النجدية، فجاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى المقدمة، ثم الشيخ سليمان بن عبدالله بن عبد الوهاب.

ثانيًا: من أهم الاستمالات والأساليب الدعائية التى حرصت المواد الصحفية على استخدامها هى الترتيب المنطقى للبراهين، ولعل من أخطر القضايا التى تمت الاستعانة فيها بتلك الآلية قضية التكفير، التى حرصت المواد الدعائية على تفنيد الحجج والبراهين وترتيبها للوصول لحالة إقناعية تستند إلى أدلة شرعية يتم إدراجها فى غير موقعها.

كما حرصت عينة الدراسة على استخدام استمالات منطقية أخرى مثل "توظيف الأرقام والإحصائيات" و"الخرائط والرسوم التوضيحية"، وأسهمت هذه الأدوات فى إظهار قوة التنظيم سواءً من حيث إبراز قوته العسكرية والغنائم من الآليات التى يحصدها جراء عملياته بالأرقام والصور، أو من حيث تسليط الضوء على أعداد الجرحى والقتلى فى صفوف الأعداء.

استخدمت المواد عينة الدراسة الاستمالات العاطفية بنسبة ٤٩,٦٪ منها، وهى أعلى نسبة من الاستمالات المنطقية التى بلغت ٣٣,٧٪، وجاء فى مقدمة الاستمالات العاطفية التى تم الاعتماد عليها "استخدام الشعارات والألفاظ

البلاغية"، خاصة تلك التى تعبر عن الغلظة والوحشية فى القتال "الإثخان بالعدو"، مع الاهتمام بالجمل الحماسية الموجهة لمقاتلى التنظيم مثل "يا أيها الجبل الأشم"، "يا ليوث الإقدام"، "أعرف قدر نفسك يا معادى الأمم".

ركزت الأساليب الدعائية لتنظيم الدولة الإسلامية على أسلوب التخويف والتهويل، وظهر هذا الأسلوب فى سرد العمليات العسكرية وتعديد الخسائر والأرواح فى صفوف الأعداء، جاء بعد ذلك أسلوب الإفساد والذى يهدف إلى تناول الموضوعات التى تُفسِد كل محاولات التعايش فى سلام وتقبُل الآخر، كالحث على الجهاد والانضمام لصفوف مقاتلى التنظيم، وتكفير الفصائل الجهادية المنافسة للتنظيم فى المنطقة.

نتائج المواد المصورة

حرصت الأفلام عينة الدراسة على تعزيز الإحساس بالاختلاف عن الآخرين لدى مقاتلى التنظيم، ودعم مشاعر العلو والقوة، إضافة إلى تغذية شعور زهد الحياة الدنيا، مدعمًا العلاقة بين الشهادة والجنة، وأن الحياة الدنيا لن تكون أبدًا فى مكانة الجنة، وبالتالى المستعلى بإيمانه يُقدِم ولا يحجم عن العمليات الانتحارية والجهاد، ويثبُت ولا يفر، ويصمد ولا يستسلم؛ لينال الجنة.

اتسمت الأفلام بوحشية المشاهد المقدمة من ذبح وقتل ودهس وتمثيل بالجثث، فالغرض من تلك الوحشية فى التناول هو لفت أنظار العالم، وتحويل الانتباه عن الهزائم المتلاحقة التى تصيب التنظيم فى منطقة الشرق الأوسط.

أهم نتائج الدراسة الميدانية

- توجد علاقة ارتباطية طردية ذات دلالة إحصائية بين درجة التعرض للرسائل الإعلامية التى يقدمها تنظيم الدولة الإسلامية على شبكة الإنترنت واتجاهات النشء والشباب الإيجابية نحوه.

- يتعرض ٦٠٪ من الشباب والنشء عينة الدراسة إلى الرسائل الإعلامية التى يقدمها تنظيم الدولة الإسلامية على شبكة الإنترنت، وبلغت نسبة من يتعرضون بشكل نادر ٣٣,٣٪، ومن يتعرضون أحيانًا ٢٤٪ من مفردات العينة، أما التعرض بشكل دائم بين مفردات العينة فبلغت نسبته ٢,٧٪.
- كان أكثر الأساليب الدعائية تأثيرًا فى مفردات العينة هو أسلوب التخويف، حيث تصدر المتوسط الحسابى لعبارة "أشعر بالرهبة من تنظيم داعش"، تلاه الإحساس بالتهديد بعبارة "أشعر أننى مهدد بأن أكون أحد ضحايا عمليات داعش"، ثم الشعور "بأن داعش أقوى من بقية التنظيمات"، حيث نجح التنظيم فى خلق تلك الصورة الذهنية عنه.
- تبين من النتائج ثبوت صحة الفرض الخاص بوجود فروق دالة إحصائيًا بين الذين يشاركون والذين لا يشاركون فى العملية الانتخابية فى متوسطات درجات اتجاهاتهم الإيجابية نحو تنظيم الدولة الإسلامية لصالح الذين لا يشاركون.
- تبين وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث فى متوسطات درجات اتجاهاتهم نحو تنظيم الدولة الإسلامية لصالح الذكور.
- اتضح من النتائج ثبوت صحة الفرض المتعلق بالسن، حيث وُجدت فروق دالة إحصائيًا بين الفئات العمرية فى متوسطات درجات اتجاهاتها لصالح الفئة العمرية من ٢٠ إلى أقل من ٢٥.
- تَكَشَّفَ عدم وجود فروق بين المستويات الاجتماعية الاقتصادية فى متوسطات درجات اتجاهاتهم نحو تنظيم الدولة الإسلامية.
- تبين عدم وجود فروق بين المستويات التعليمية فى متوسطات درجات اتجاهاتهم نحو تنظيم الدولة الإسلامية.